

فقه الأسماء الحسنى

البر

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢٧-١١-١٤٢٨هـ

تفریغ: أبو عمر الفلستینی

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.
أمّا بعد،

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته... معاشر المستمعين،
ومن أسماء الله الحُسنى: البرّ، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، ومعناه: أي الذي شمل الكائنات بأسرها ببره ومّته وعطائه، وهو مُولي النعم واسع العطاء دائم الإحسان، لم يزل ولا يزال بالبر والعطاء موصوفاً وبالمِنّ والإحسان معروفاً، تفضّل على العباد بالنعم السابعة والعطايا المتتابعة والنعم المتنوعة، ليس لجوده وبرّه وكرمه وعطائه مقدار، وهو سبحانه بالكرم الواسع والنوال المتتابع والعطاء المدرار. أيها الإخوة المستمعون، وبره -سبحانه- بعباده نوعان: عامٌ وخاص.

فالعام وسع الخلق كلهم فما من شخص إلا وسعه من الله تعالى وفاض عليه إحسانه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهذا التكریم: يدخل فيه خلق الإنسان على هذه الهيئة الحسنة والصورة الجميلة والقامة الطيبة. ويدخل فيه أن الله عز وجل جعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً وجعله يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه،

وخصه بأنواع من المطاعم والمشارب والملابس.. إلى غير ذلك مما خص به بني آدم وكرمهم به.

والخاص هو هدايته من شاء منهم لهذا الدين القويم وتوفيقهم لطاعة رب العالمين ومنه ما يترتب على ذلك من السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢]. أي في دورهم الثلاثة في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة.

وتفاصيل بره بعباده وأصفيائه أمرٌ لا يمكن حصره ولا سبيل إلى استقصائه، فمن برّه بهم جل وعلا أنه تبارك وتعالى يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، يتقبل منهم القليل من العمل ويشيهم عليه الثواب الكثير، ويعفو عن كثيرٍ من سيئاتهم ولا يؤاخذهم بجميع جنائهم ويميزهم بالحسنة عشر أمثالها ويضاعف لمن يشاء، ولا يجزي بالسيئة إلا مثلها، ويكتب لهم بهم بالحسنة ولا يكتب عليهم بهم بالسيئة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ وَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ)). [رواه مسلم].

ومن بره بعباده فتحة أبواب الإنابة والتوبة والأوبة إليه مهما كثرت الذنوب وتعددت الآثام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: ((يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني

بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة^(١).

ومن بره بهم معاملتهم بالصفح والعفو وستر الذنوب والتجاوز عنها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس ويقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال الله: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته؛ وأما الكفار والمنافقين فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين^(٢))).

أيها الإخوة المستمعون، ومطالعة العبد لهذا البر العظيم من سيده ومولاه نافع له غاية النفع، إذ به يعرف عزة الله في قضائه وبره في ستره، وحلمه وإمهاله وكرمه في تيسيره التوبة والإنابة وفضله في مغفرته، وهذا يسوق العبد إلى حُسن الإقبال على مولاه خضوعاً وتذلاً رغباً ورهباً رجاءً وطمعاً، قال ابن القيم رحمه الله: "يعرف بره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه، ولهذا من كمال بره ومن أسمائه البر، ولهذا البر من سيده كان عن به كمال غناه عنه وكمال فقر العبد إليه، فيشغل بمطالعة هذه المنة ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم فيذهل عن ذكر الخطيئة فيبقى مع الله سبحانه وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته وشهود ذل معصيته فإن

(١) صحيح، رواه الترمذي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٢٧.

(٢) متفق عليه، انظر اللؤلؤ والمرجان، ج ١، ص ٨٥١.

الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى^(٣).

أيها الإخوة المستمعون، وما نبه عليه ابن القيم رحمه الله أمرٌ يغفل عنه كثير من التائبين فينشغلون بعظم الذنوب التي ارتكبوها وكثرها ويغفلون عن ذكر سعة بر الله وعظم مَنته وجزيل كرمه.

أيها الإخوة المستمعون، ومن عظيم بره بعباده أنه - سبحانه - مع كمال غناه يفرح بتوبة التائبين وإنابة المنيبين، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلة بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح^(٤))).

وهذا الفرح شأنٌ لا ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه، إذ إن مطالعته من أعظم ما يكسب طمأنينة وشوقاً إلى الله ولهجاً بذكره وشهوداً لبره ولطفه، وكرمه وإحسانه، وأنه سبحانه أجود الأجود وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

معاشر المستمعين، ومما ينبغي أن يعلم هنا أن البرّ - سبحانه - يحب أهل البر فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر ويجب أعمال البر ويجازي عليها بالهدى والفلاح والرفعة في الدنيا والآخرة والبر أصله التوسع في فعل الخيرات، وأجمع الآيات لخصاله

(٣) مدارج السالكين، ج ١، ص ٢٠٦.

(٤) مسلم، رقم (٤٩٣٢).

قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمِمَّا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

قال قتادة رحمه الله: لن تنالوا برّ ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم، ومما تهوون من أموالكم^(٥).

ألهنا الله جميعاً رشد أنفسنا ورزقنا من فضله وبره وجوده ما لا نخسب إنه سميعٌ مجيب.

وإلى لقاء آخر في حلقة قادمة إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



(٥) الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٥٨٧-٥٨٨.